﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٥٧﴾

[الحجّ: 57]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

القُرآنُ مَثانٍ تُثَنَّى فيه الأمورُ والمعاني

لَمّا ذكَرَ سبحانه أنَّ حُكمَهُ في المُؤمنينَ العامِلينَ للصّالحاتِ - حينما يُلاقون ربَّهم - أنَّ لهم جنّات النعيم؛ ثَنَّى بذكرِ مَن يُقابِلُهم من الذين كفروا من المشركينَ وأهلِ الكتابِ، وكذّبوا بآياتِ اللهِ بأنَّ لهم عذابًا مهينًا، فقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُّهِينٞ﴾: (مهن) أصلٌ يَدُلُّ على احْتِقارٍ وحَقارَةٍ في الشَّيْءِ، ومَهينٌ: حَقيرٌ[2]، والمَهينُ أيضًا: الصَّغيرُ، والضَّعيفُ، والقَليلُ[3]، ومُهين: اسمُ فاعلٍ من الفعل (أهان) يهينُ إهانةً، فهو مُهين، والمفعول مُهانٌ، وأهانَ الشَّخصَ: أذلَّه، واحتقره، واستخفَّ به[4]، ومعنى ﴿عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾، أي: المُذِلُّ، أيْ: لهم عذابٌ مُشتمِلٌ على ما فيه مَذَلَّتُهُم، كالضَّرْبِ بالمقامعِ ونحوِهِ[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

العذابُ المُهين جزاءُ الكيدِ لدينِ اللهِ والتَّكذيبِ بآياته والاستكبارِ عن طاعته

الذينَ كَفَروا باللهِ تعالى وبرسولِه الكريم، وكذَّبوا بآياتِ كتابه وتنزيله، وبآياته الكونيَّة الظاهرة الباهرة، أو المعجزاتِ الَّتي أُرسلتْ إلى رسلهم، فأولئك لهم يَومَ القيامةِ عَذابٌ مُخْزٍ ومُذِلٌّ في جَهنَّمَ؛ جزاءً لهم على استِكبارِهم على الحَقِّ واستِهانتِهم بآياتِ اللهِ ورُسُلِه[6].

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 5010.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (مهن).
(3) الزَّبيديُّ، تاج العروس: (مهن).
(4) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (هون).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 310.
(6) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 673.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ عاطفةٌ، والمعطوفُ عليه جملةُ ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾؛ لما بينهما مِن التوسُّط بين الكمالَيْن، أيْ: جمعَ بين أهلِ الإيمانِ وثوابهم، وأصحابِ الشِّمالِ وعقابهم، وهذا هو الغالبُ في القرآنِ، إذا ذكَرَ اللهُ الجنَّةَ؛ ذكَرَ النّارَ، وإذا ذكَرَ أولياءَ اللهِ؛ ذكَرَ أعداءَ اللهِ، والحِكمةُ مِن ذلك بيانُ سلطانِ اللهِ المطلقِ على جميعِ خلقه من المؤمنين والكافرين، وفيه إشارةٌ إلى أنْ يكونَ الإنسانُ سائرًا إلى الله، أي: مُتعَبِّدًا إلى اللهِ بين الخَوفِ والرَّجاءِ؛ لأنَّه إذا مَرَّت به صفاتُ المؤمنينَ؛ قَوِيَ جانِبُ الرَّجاءِ، وإذا ذُكِرَت أحوالُ الكافِرينَ؛ غَلَب جانِبُ الخَوفِ.

في العطفِ بيانٌ لسلطانِ اللهِ المُطلَقِ على جميعِ خلقه من المؤمنين والكافرين

والقرنُ بين ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، ومعنى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ في آية مستقلَّةٍ بيانٌ لعظيم رفعة درجة أهلِ التقوى، أهلِ الإيمان وعملِ الصالحات؛ وكأنَّهم بجوارِ المَلِك الحاكم العادل المُتفضِّلِ ﷻ، وفي ذلك بيانُ عظيم رضوان الله عليهم وكرمه لهم؛ مجازاةً لما قوبلوا به من إهانة أهل الإساءة والكفران في الدّار الدُّنيا.

بيانٌ لعظيم رفعة درجة أهلِ التقوى

وفيه توكيدٌ وتحقيقٌ لمضمون أنَّ المُلك والحُكم يومئذٍ ليس إلّا لله سبحانه وبحمده، وكأنَّ الكافرين مُبْعَدون مطرودون غايةَ البُعدِ وغايةَ الطَّرد، ولهذا جاء ذِكْرُهم في آيةٍ مُستقلَّة، مِمّا يكون إبلاغًا في كمال نفي التَّسوية بين الفريقَيْن حالًا ومآلًا.

توكيدُ إفرادِ اللهِ بالمُلك والحُكم يوم القيامة

نكتةُ التَّعبيرِ بالاسم الموصول وصلته:

عبَّر البيانُ القرآنيُّ عن الذين حكمَ اللهُ عليهم بالعذابِ المُهين بالاسمِ الموصول (الذين) دون الاسمِ الظّاهر في قوله تعالى:

تشابَهَ بيانُهم؛ واختلفَ حالُهم

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، ولم يَقلْ سبحانه: (والكافرون والمكذِّبون)؛ للإيذانِ بأنَّ سببَ استحقاقهم هذا الجزاءَ هو كُفرُهم بالرسالةِ وتكذيبهم بالآياتِ القرآنية والكونيَّة[1]، وإجراءُ الكفر والتَّكذيب مجرى العلَّة للحُكم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ كنايةٌ عن عظيم قبحهما وسوئهما؛ إبلاغًا في التَّرهيب والتَّنفير منهما، وحثًّا على التَّقوى المأمور بها كلُّ النّاس في مطلع السّورة، والتَّشابهُ بين بيان الفريقَيْن في نظم صدر الحُكم بيانٌ لعدله تعالى في حُكْمِه، وهو مِن وجوه التَّماسك والتَّرابط بين الآيتَيْن.

الموقعُ النَّحويُّ لقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾:

في الاسميَّة حَسْمٌ وفَصْلٌ وشِدَّةٌ

جملة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ جملةٌ اسميَّة، مبتدؤها: (الذين)، وخبرها: جملة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ﴾[2]، وهي تفيدُ ثبوتَ الحُكم الإلهيِّ ودوامَهُ، وهو استحقاقُ الكافرين المُكذِّبين بآياتِ اللهِ للعذابِ المُهين.

غرضُ عطفِ التَّكذيب على الكفر:

المُكذِّبون هم المُزلزَلون بالسّاعة

عطفَ البيانُ القرآنيُّ التَّكذيبَ على الكُفرِ، وهو نَوعٌ منه في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾؛ لأنَّه أشَدُّ، فالذي يَكفُرُ - ولم يُكَذِّبْ - أهوَنُ مِن الذي يَكفُرُ، ويُكَذِّبُ، فهو من بابِ عَطفِ الخاصِّ على العامِّ، وفي هذا دلالةٌ على عِظمِ موجبِ خلودهم في النّارِ واستحقاقهم للعذاب المهين، وهو أنَّهم جمعوا بين أمرَيْن، كلٌّ واحدٍ منهما موجِبٌ للخُلودِ في النّار؛ فإذا اجتَمَعا جميعًا؛ صار ذلك أشَدَّ وأعظَمَ، وهم قد جمعوا بين الكفرِ والتَّكذيب، فلم يُؤمنوا، ولم يُصدِّقوا بآياتِ اللهِ القُرآنيَّة أو الكونيَّة، أو المُعجزاتِ الَّتي أُرسلتْ إلى رسلهم.

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 5011.

(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 468.

ثم إنَّ التَّكذيبَ سبيلٌ عظيمٌ إلى الكُفر، فقُدِّم الكُفرُ عليه؛ لبيان موقعِ التَّكذيبِ منه، والتكذيبُ من الأعمال السيئة، والحُكمُ في قوله: ﴿يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ يقتضي عملًا؛ فلهذا ذُكِرَ، وفي مقابلة عملِ الصالحات بالتكذيب معنى أنَّ التَّكذيب مِن أُمَّهاتِ السَّيِّئات، وفي هذا كلُّ تنفيرٍ وترهيبٍ منه، فلَمّا كان كذلك؛ كان ألصقَ بأهوال السّاعة الفخمة العظيمة: ﴿إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١﴾ [الحج: 1].

تقدَّم الكُفرُ على التَّكذيب؛ إذِ الأخيرُ سبيلٌ إلى الأوَّل

معنى الباء في قوله: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾:

الباءُ في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ للإلصاق، أيْ: تكذيبُهم لآياتِ الله القرآنيَّة والكونيَّة ملتصقٌ بها، وملابسٌ لها ملابسةً لا تنفكُّ عنها، وهذه مبالغةٌ في بيانِ شدَّةِ تكذيبهم واستكبارهم عن الطاعةِ لله والتَّسليم له، كما أنَّ في تعديةِ فعل التَّكذيب بالباءِ - وهو فعل مُتعَدٍّ بنفسه - تأكيدَ لُصوقِ معنى الفعل، وهو التكذيبُ بمفعوله، وهي الآيات، بما يدلُّ على معنى الإنكارِ، أي: التكذيب القويُّ[1].

المُكذِّبُ بآياتِ العظيمِ نادرُ الوجودِ

وفي مجيء الباء - وفعلُ التكذيبِ يتعدَّى بنفسه أصلًا - تنبيهٌ لطيفٌ على أنَّ مِثْلَ هذه الآيات لا يتسلَّط عليها التكذيبُ ونحوُه؛ لوجود سيما عظمة الأُلوهيَّة فيها، على ما تُفْهِمُهُ إضافةُ الآيات إلى صيغة العظمةِ: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾، ففي التَّعدّي بالباء إنكارُ تكذيبهم، وتعجُّبٌ عظيم منه.

مِثْلُ هذه الآياتِ لا يتسلَّط عليها التَّكذيبُ ونحوُه

فائدةُ التَّعبيرِ بالآيات في قوله: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾:

عبَّر البيانُ القرآنيُّ بـ (الآياتِ) دون (الكتاب) أو (القرآن) في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾؛ للدَّلالةِ على شمولِ تكذيبهم للآياتِ القرآنيَّةِ والكونيَّةِ، وللإشارةِ إلى إعجازِ الآيات؛ إذِ الآيةُ في اللغةِ: العلامةُ، ومن معانيها: البرهانُ والمعجزة، ولإقامة الحُجَّة عليهم

سبحان مَن عدَّد آياتِهِ إحسانًا إلى عباده!

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/ 191.

في سياق الحُكْم عليهم؛ بيانًا لعظيم عدله تعالى في شأنهم، فقد كذَّبوا كلَّ الآياتِ على كثرتها وتعدُّدها وتغايُرها، فربَّما يكون مقبولًا أن تخفَى عليهم بعضُ الآيات جدلًا، لكن لا يُقبل أن تكون قد خفيت عليهم كلُّها وجميعها، ثم إنَّ الحقَّ أنَّ بعض هذه الآيات يوصِّلُ إلى اللّٰه معرفةً، فلم ينتفعوا بأيٍّ منها.

نكتةُ إضافة الآياتِ إلى ضمير العظمة:

بيانٌ لشرفِ هذه الآيـاتِ وعظيم افترائهم عليها

أضافَ ﷻ (الآيات) إلى ذاتِه العَليَّةِ في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾؛ تشريفًا للآياتِ القرآنيَّة والكونيَّة، واستعظامًا للإقدامِ على تكذيبها، وبيانًا لعظيمِ افترائهم، وأنَّهم فعلوا ذلك استعلاءً واستكبارًا[1]، ولهذا استحقّوا العذابَ المُهين؛ لاستعلائهم على الحقِّ وآياتِ اللّٰه[2]، ولبيان عظمةِ دلالتِها على المقاصد المرجوَّةِ منها، وكمالِ ظهور ذلك؛ تمهيدًا لعِظَم عقاب المُكذِّب بها، تأسيسًا على قوله: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾ [الحج: 1].

بلاغةُ الالتفات في قوله: ﴿بِـَٔايَـٰتِنَا﴾:

تأكيدُ الوعيدِ وتشديدُ التهديدِ للكافرين المكذِّبين

عدلَ البيانُ القرآنيُّ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ عن ضمير الغائبِ المفرد في: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ إلى صيغةِ الضميرِ المُتكلِّم الجمع، فلم يَقُلْ: (بآيات اللّٰه)؛ لتأكيدِ الوعيدِ وتشديدِ التهديدِ للكافرين المكذِّبين بآياتِ اللّٰهِ ببيانِ عظيمِ ما يكفرون، ويكذِّبون به، وهي آياتُ اللّٰهِ العظيمِ سبحانه، ولإثارةِ انتباههم لقُبحِ ما يفعلونه، وفيه معنى كمال ظهورِ العظمة الإلهية في الآيات، كأنَّها تُكلِّمهم، وتخاطبهم، ومعنى إقباله تعالى عليهم وتودُّده إليهم؛ إذ كان يمكن تركُهم وحالَهم في الكون؛ ليصلوا مِن خلاله إليه، ولكنَّه أنزل إليهم القرآن العظيم؛ ليرشدهم إلى الصواب.

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 5011.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 5011.

معنى الفاءِ في قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾:

لا يستوي أصحابُ النّارِ وأصحاب الجنَّة

فاءُ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ تحتملُ أنْ تكونَ للتوكيد، أيْ: لتوكيدِ الخبرِ، بما فيها مِن معنى استحقاقِهم العذابَ المُهين[1]، أو أنْ تكونَ من معنى حَرفِ التَّفصيلِ - وهو (أمّا) - لأنَّه لمّا تقدَّمَ ثَوابُ الَّذين آمَنوا؛ كان المَقامُ مُثيرًا لسُؤالِ مَن يَترقَّبُ مُقابَلةَ ثَوابِ المُؤمنين بعِقابِ الكافرينَ.

وربَّما تكون فاءُ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ سببيَّةً، وتَصديرُ الخبرِ بها؛ للدَّلالةِ على أنَّ تَعذيبَ الكُفّارِ بسبَبِ أعمالِهم السَّيِّئةِ[2]، كما أنَّ تجريدَ خبرِ الموصول الأوَّلِ عنها للإيذانِ بأنَّ إثابةَ المؤمنينَ بطريقِ التَّفضُّلِ لا لإيجابِ الأعمال الصّالحةِ إيّاها[3]، أو يحتملُ أنْ تكونَ رابطةً لِما في الموصول من رائحةِ الشَّرط[4]، وفي تعرية الخبرِ الأوَّل: ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ من الفاء، الدّالِّ على أنَّ إثابتَهُ تعالى لأهل طاعته تفضُّلٌ منه، وفي قرْنِ الخبر الثاني: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ بالفاء الدّالَّة على أنَّه مُسبَّب عن معنى الصِّلة[5] بيانُ كمالِ نفي التَّسوية بين الفريقَيْن.

فائدةُ التَّعبيرِ باسم الإشارة البعيد:

عدلُهُ ﷻ هو العدلُ المطلقُ

افتتحَ البيانُ الإلهيُّ الخبرَ عن الذين كفروا باسم الإشارة (أولئك) في قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؛ للتَّنبيهِ على كمال استحقاقهم العذابَ المُهينَ، لأجْلِ ما تقدَّمَ من صِفَتِهم بالكُفْرِ والتَّكذيبِ بالآياتِ[6]؛ لأنَّ معنى أصل الاستحقاقِ حاصلٌ بالفاء،

(1) الهلال، تفسير القرآن الثري الجامع: 17/ 169.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 76، والطيبي، فتوح الغيب: 10/ 516، والبقاعي، نظم الدُّرر: 13/ 76، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 116.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 76، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 116.
(4) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 468.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 5/ 167.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 310.

فكان في التَّعبير باسم الإشارة زيادةٌ في معنى الاستحقاق، كأنَّ فيه أن كلًّا من الكفر والتَّكذيب أحاط بهم، ورسخَ فيهم، وتمكَّن منهم، فكأنَّهما صفتان قامتا بهم، وداخلتهم، وانتشرتا فيهم حتى صارتا من مُكوِّناتهم، فلهذا استحضرَ القرآنُ ذواتهم؛ للحكم عليها بالعذابِ المُهين، ويؤذنُ معنى البُعدِ في اسمِ الإشارةِ ببُعْدِ مَنزِلَتهم في الشَّرِّ والفسادِ واستغراقهم في الاستبعاد[1]، وبُعدهم عن رحمةِ اللهِ تعالى[2]، "أي: البعداء عن أسبابِ الكرم"[3].

الموقعُ النَّحويُّ لقوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾:

جملةُ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ جملةٌ اسميَّة، مُبتدؤها: أولَئِكَ، وخبرها: جملة: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، والتي هي مكونة مِن مبتدأٍ هو: ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، وخبرٍ هو: ﴿لَهُمْ﴾، والجملة الاسميةُ تفيدُ ثبوتَ استحقاقِ الكافرين المكذِّبين بآياتِ اللّه للعذابِ المُهين ودوامَهُ.

ثبوتُ استحقاقِ العذابِ المُهينِ للكافرين المكذّبين ودوامُهُ

معنى اللّام في ﴿لَهُمْ﴾:

لامُ ﴿لَهُمْ﴾ في قوله ﷻ: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ هي لامُ الاختصاص والاستحقاق، أيْ: أولئك الذين كفروا باللّهِ، وكذَّبوا بآياتهِ يستحقّون العذابَ المهين، ويختصّون بهِ دونَ غيرهم.

غرضُ تقديمِ شبه الجملة ﴿لَهُمْ﴾:

قدَّم البيانُ القرآنيُّ الجارَّ والمجرور ﴿لَهُمْ﴾ على المُسندِ إليه ﴿عَذَابٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؛ ليُفيدَ معنى تخصيصِ العذابِ المُهينِ لهذا الصِّنف، وهو صنفُ الكافرين المُكذِّبين بآياتِ اللّه، وفيه إمعانٌ في تقرير استحقاقهم العذابَ المهين، وإضفاء معنى العَظَمَة والفخامة والشِّدَّة على العذاب المُهين.

في التخصيص كمالُ عنايةٍ بعذابهم

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 116.
(2) الهلال، تفسير القرآن الثري الجامع: 17/ 169.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 76.

نكتةُ تنكير ﴿عَذَابٌ﴾:

نكَّرَ البيانُ القرآنيُّ لفظة ﴿عَذَابٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؛ لإفادةِ التَّهويل[1]، وذلك في نور سياق قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾، فهو عذابٌ لا يُحَدُّ حدُّهُ، ولا يُقدَّر قدرُه، ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطرَ على قلبِ بَشَرٍ، وفي هذا تخويفٌ لهم؛ لينزجروا عن كفرهم، ويعودوا عن غَيِّهم، وحرصًا على نجاتهم.

عـذابُ المُكـذِّب بآيات العظيم، أيُّ عذابٍ هو؟

دلالةُ التَّعبيرِ بـ﴿مُّهِينٌ﴾ مادَّةً وصيغةً:

عبَّر البيانُ القرآنيُّ بمُفردة ﴿مُّهِينٌ﴾ واصفًا بها العذابَ الذي أعدَّه الله للكافرين المُكذِّبين في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ دون غيرها من الألفاظ، فلم يَقُلْ مثلًا: (لهم عذاب عظيم أو أليم)؛ لكون معناها أنسبَ هنا مع السّياقِ الذي ذُكِر فيه النَّعيمُ للمؤمنين: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾، وهذا النَّعيم دالٌّ على غاية الإكرام؛ لتأسيسه على الفضلِ بغياب ما يُؤذِن بالسَّببية في نَظْمِه كالفاء.

لمّا كذَّبوا بآياتِ اللهِ استهانةً واستكبارًا؛ استحقّوا عذابًا لا ينقطعُ فيه ذُلُّهم

لقد ناسبَ أنْ يُذكر العذابُ الذي فيه إهانةٌ واحتقارٌ لِمَن جمعَ بين الكفرِ والتَّكذيب؛ إذ أصلُ (مُهين) يَدُلُّ على احْتِقارٍ وحَقارَةٍ في الشَّيْءِ[2]، والمُهينُ: المُذِلُّ، فكلُّ ما فيه مذلَّتُهُمْ وإهانتهم يشملُهُ هذا العذاب، ولكونه أنسبَ مع حالِ الكافرين، أي: إنَّهم لمّا كفروا، وكذَّبوا بآياتِ الله استهانةً بها مريدين إعزازَ أنفسهم بمغالبتها والتكبُّر على اتِّباعها[3]؛ استحقّوا العذابَ الذي يُذلُّهم، ويحتقرهم، فكان الجزاءُ من جنسِ العمل.

الإهانةُ مناسبةٌ لحال هؤلاء؛ فالجزاءُ من جنس العمل

والتَّعبيرُ بصيغةِ اسم فاعل ﴿مُّهِينٌ﴾ من الفعل (أهان) يهينُ إهانةً فهو مُهين؛ للدَّلالة على ثبوتِ هذا العذابِ المهين ودوامِه، أيْ:

المبالغةُ في بيانِ الإهانةِ والإذلالِ الذي يحملُهُ هذا العذابُ لهم

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 116.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مهن).
(3) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 76.

ثابتٌ لهم خالدين مُخلَّدين فيه، ثمَّ إنَّ الآياتِ مضافةٌ إلى صيغة العظمة ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾، فكانت عظمةُ ذي الجلال والإكرام كامنةً ظاهرة فيها، فكان المُكذِّبُ بها مستحقًّا غايةَ الإهانة، فلهذا وُصِف العذابُ بـ﴿مُّهِينٌ﴾، وكان الوصفُ اسمًا - كما ترى - ومجيءُ هذه الصفةِ نكرةً أفادَ المبالغةَ في بيانِ الإهانةِ والإذلالِ الذي يحملهُ هذا العذابُ لهم[1].

بلاغةُ المقابلةِ بين: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ و﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾:

بالتَّقابلِ يُتدبَّرُ حالُ الشَّيء في نورِ مُقابِله

قابَلَ البيانُ القرآنيُّ النَّعيمَ للمؤمنين في قوله: ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ بالعذابِ المُهين للكافرين في قوله: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؛ مُبالَغةً في إظهارِ استحقاقِ النَّعيم للمؤمنين، واستحقاقِ العذابِ المُهين للكافرين، والتَّشويق والثُّبوت على الأوَّل، وهو العملُ على استحقاقِ النَّعيم، كما قيل: وبضدِّها تتميَّز الأشياءُ[2].

الغرضُ من تقديم وعدِ المؤمنين على وعيد الكافرين:

مَـنِ اتـقـى الله ﷻ؛ عامله الله بفضله

قدَّم البيانُ القرآنيُّ وعدَ المؤمنين على وعيدِ الكافرين في قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٥٠ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؛ تَشْريفًا لشأنِ المؤمنين وللنَّعيم الذي أكرمهم اللهُ به من جنّاتِ النَّعيم، وإظهارًا لتفرُّده سبحانه بالحُكْم بإكرامِ مَنْ كانوا قاطعين بهوانِهم في الدّارَيْن، كما أنَّ تقديمهم أوفقُ لمقصودِ السورة[3].

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 528، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 116.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 528.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 76.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والثلاثون،
سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 35 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-77-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 35 : المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-77-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984898 بتاريخ 2024/11/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»